طرفات

إيمان القاسم

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

المدير العام
محمد صلاح

إشراف عام
إيناس الدسوقي

الطبعة الأولى
الكتاب : طرقات
تأليف : إيمان القاسم
تصنيف الكتاب : مقالات
مصمم الغلاف : عمار جمال
إخراج : أحمد عبد الرحمن
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٣٢٥٠ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6599 - 62 - 8

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01003897918
Alkanzy.co@gmail.com
Facebook.com/Alkanzy.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

لتلك الروحِ العظيمةِ، التي أعطت بسخاء لليد العليا البيضاء

مَنْ غمرتني بكل إحسان، واحتوتني في ليالي الوحدة.

إيمان القاسم

المقدمة

وهذه الحياة بحلْوِهَا ومُرّها تستمر، لن يقف مؤشر الساعة على زمنٍ محدَّد. يا ترى!! هل نقف والعالم في تقدم؟! الانزواء والحزن كثيرًا ما يؤخرنا، فالعاطفة كما يقال «علامة تأخر».

الحـــزن أمر طبيعي، وكلنـــا يحزن ويفرح، تألمنا بشـــكل كبير، حلمنا وقربنا من أحلامنا، ولكن هاهي تلاشت، كانت لنا برهـــة من الوقت وأصبحت لغيرنا، مما يولّد وبلا شـــك «حقدًا،غيرةً،كراهيةً».

راودتنا أحلام جديدة، وبذلنا ما في وســـعنا هذه المرة أيضًا، الأبواب كانت شديدة الإحكام، حالت دون الوصول ممَّا أرهقنا، وفي لحظة تسلل اليأس إرادتَنا، خارت عزائمُنا، ولكن مثلنا لا يهزم، فقـــط أولئك الذين عانوا كثيرًا هم الأجدر والأكثر قدرة على التحمّل مِنْ غيرهـــم، قادرين على محاربة كل ما حولهـــم، وَلَّد لديهم هذا الألمُ قوةً، فكيـــف تتحول الآلام إلى قوة؟ حين نكون مؤمنين بالله، ذلك هو الباعث لتلك القوة،

الإيمان به وحده، فنحن لم نقرأ القرآن لنحزن ونشـــقى، نحن قرأناه لتقْوَى عزائمنا؛ لنتدبر ونتفكر في آياته.

ولسان الحال يقول: «ســـأظل يا الله حامدةً شاكرةً، أعلم أنك تأخذني للخـــير، ولأن ظني لا حدود له فيك، وأنك يا الله خالقي، لن يعتري الذبولُ قلبي، وبســـاطه الأخضر الذي أسقيته حبك فأرتوي سأزداد إيمانًا كلما فاتني شيء، لم يكن لي غنية بك يا الله».

الحياة عبارة عن طرقات وممرات، ليست كل الطرق معبَّدةً مفروشةً بالورود، علينا نحن أن نغرس هذه الورودَ في طرقاتنا، حتى وإن لم نَعُدْ لجنيها، يكفي أننا غرسناها لغيرنا، وساهمنا في الإصلاح.

ليس بالضرورة أن نجد ثمراتِ جهدنا في نفس المكان الذي أودعنا به بذورنا، في مكان آخر وبشكل ما سنجنيه، فقط كن ناثرًا لها أينما حطت قدماك.

الحبُّ هو ذاك القدر الجميل الذي نتمنى أن يصادفنا،

مهما سعينا وبلغنا ونلنا يظل أقصى أحلامنا أن نتمرغ في أحضان من أحببنا، أن تضع رأسك على كتف من تحب، لكن هو ممر، سرعان ما نسلكه ونواصل المسير، وإن قطعنا مسافاتٍ طويلة نلتفت بين كل فترة وأخرى، ونبقى آسرين لذاك الممرالذي أيقظ فينا كل شيء جميل.

..أما الخيبات فهي ترافقنا طوال تلك المسيرة، لا نستطيع إلا تجاهلها والتغاضي عنها، سيسخر منك أحدهم لشكلك أو وظيفتك أو يحبط من همتك، سيثيرون ضجة من حولك، ولكن عليك عدم الإصغاء والاكتراث لمن رضوا بالقعود، فلا تكن مع الخالفين، اطرق السبل وامض في طرقاتك، وعليك أن تجرِّب وأن تقحم نفسك في كل شيء، حتى تجدها في مكان ما، لا ترضَ بهذا الروتين الذي قتل بنا كل شيء، وجعلنا خائفين، عدم فينا الثقة، ستجد ضالتك، فقط لا تقف.

إيمان القاسم

بدایۃ

اليوم الـــذي اجتهد فيه أبي للبحث عن قبول لي في أكثر من مدرسة واحدة حتى تتعلم ابنته، وبعد جهد كبير حصل على القبول، جاءتني البشـــرى، لم تسعني الدنيا من الفرحة، كل ما فيّ يتراقص بهجة، سأرتاد وأخيرًا صرح التعليم، الذي لطالمـــا حلمت في حمل الحقيبة، والذهاب مع ســـرب الطلبة والطالبـــات، عرق أبي الذي تصبب تعبًا من أجلي، بقدر ذلك الجهد الذي بذله أنا اليوم أبي أشـــكرك، لقد تعلّمتُ وكبرتُ ولكن لم أكمل هذا الحلم الجميل، طريقه كان متعبًا وليس ســـهلاً من تلك المراحل الأولى، حتـــى الثانوية العامة، وهي آخر محطـــة أو نقطة توصلت إليها، كنت أظن أن المدرســـة ســـتحقق لي الكثير، وسأبذل ما في وســـعي لتحقيق النجاح، بل والدرجات العليا، وفي كل طريق لا بد وأن تواجهنا بعض المنغصات التي تعيق إرادتنا، لكني أحدِّث نفسي دومًا أني أحسن حظًّا من اللاتي لم يحصلْنَ على التعليم، شعرت برغبة شديدة في إكمال مســـيرتي العلمية بعد، لم أشبع فضولي المعرفي، لم

يســـد جوعي الفكري، لم يغذ بغذاء متكامل، فتاة مثلي نهمة بالمعرفة، حالمة طموحة، يســـتحيل أن تقـــف عند هذا الحدّ، تمنيت أن أكون واحدة من فتيات هذا الوطن، لكي تشـــرع لي أبواب الجامعات، ولكن ها هي الأحلام تتناثر، وتقف عند حدٍّ ما، حينًا لا يكون بحوزتك مالاً، شـــهادتك لن تشـــفع لك لإكمال أحلامك.

التعليم هـــذا الحق الذي يتوجـــب أن نتعلمه جميعًا، ولا يكون حكرًا على فئة دون أخرى، الكثير منا حُرِم منه، والكثير منا ضاع بسبب الجهل، هل يا ترى أقف عن هذه المسيرة وهذا الطريق الذي لا آمل السير فيه؟!

بالطبـــع لا، فالعلم لا يقتصـــر في تلك المباني الضخمة والفصـــول والقاعات الكبيرة، بل العلم أيضا على هذه الأرفف التي تصطف أمام عينيـــك ، هو أيضا في متناول يديك.

هكـــذا كنت أحدِّثُ نفســـي ، من هنا بـــدأت أقرأ وأخرج

من حدود منهج الرئاسة العامة للتعليم، ومن المقررات التي ساهمت في تثقيفي، ولكن بشكل محدود، اليوم اقرئي بحرية تامة كل ما تجدينه أمامك.

بدأت أقرأ وأزداد تعطشًا، فكلما قرأت أشعر بأنني بعد بحاجة أكبر، حتى تيقنت أنني أحتاج للقراءة كما أحتاج لطعامي اليومي، ولا شيء سوى القراءة، نشاط أمارسه، وأغلب ما وقع في يدي كتب الدين والأدب...

الانزواء خلف سطور الكُتاب، أولئك الذين تركوا إرثًا عظيمًا، حرية وغذاء متنوعًا، يظن الناظر إليك أنك ممل ووحيد، وذاك السلوك ما هو إلا روتين اعتدت عليه، وهو على العكس متعة لا توازيها متعة. أن تقرأ يعني أن تسافر عبر الأزمان،

أن تقرأ يعني أن تشبع فضولك.

إقصاء

في الأحيـــاء القديمة، وفي أزقتها الضيقة وبيوتها القصيرة، تلك الحياة البسيطة بكل ما تعنيه الكلمة على هامش الحياة، يعيشون متقوقعين على أنفسهم، أغلب من يقطنون ذاك الحي مهاجرون أفارقه، هاجروا إلى أرض ناداهم إليها إبراهيم -عليه الســـلام-، وكأنهم يســـمعون صوته حين ينادي من كل فجٍّ عميق، لا زال صوته يداعب مسامعهم ويحرِّك عواطفهم نحو مكة.

جمعـــت مكة بين كل الأجناس والألـــوان، هل ثمة مدينة فعلت ذلك؟

لا إنها مكة بحاراتها واختلافاتها أضفى جمالاً عليها، برغم من جمالها وطابعًا خاصًّا لا يشبهها مكان على وجه الأرض، تلك البقعة التي احتضنتنا ولا زالت، فلا أخرجنا الله منك أبدًا...

يقترن الفقـــر بالأمية دائمًا، لم يفتـــح التعليم الحكومي ذراعيه لأولئك البائســـين من التعليم لينشـــأ جيل بأكمله

لا يســـتطيع قراءة كلمة أو كتابة اسمه حتى، ولربما خير للكثير، فالحرمان يولّد القوة والرغبة الشـــديدة في التحدي والإنجاز، فالمحروم يقـــدر النعم أكثر من ذلك الذي يتقلب بها حتى اعتادهـــا، ولم يَعُدْ يعدّها مـــن النعم، حينما يهرب بعض الطلاب من الحصص الدراســـية، الكثير يتمنى مقعده الذي يمتلئ بجسده دون عقله، في حين تتعارك أمٌّ مع معلمة؛ لأنها تريد تغذية ســـلوك تربوي في ابنتها، كأن ينظفن فناء المدرسة، تحلم فتيات كثيرات أن تطبق المعلمة عليهن ذلك، في حين تتأفف الطالبة من ذهاب إلى المدرسة، هناك الكثيرات يغبطنها على ذلك، نعم الحرمان ما أقســـاه من شعور، ولكن كمـــا قلنا: أمثال هؤلاء لا يهزموا، ســـيجوبون الأرض بحثًا عـــن التعليم، عن إجلاء الجهل الذي لم يحرص المجتمع على الالتفات لهم، هـــم على الهامش، هكذا صنّفهم المجتمع على مقاييس ومعايير لا تمت للإنســـانية بصلة.

متطوعون

«ثمة أناس جعلوا أنفسهم مصابيح في دياجير الظلام، أولئك الذين أوقدوا في هذا الظلام الدامس قناديلهم ليصححوا مسار التائهين، ويرشدوهم إلى الطريق القويم»

كأن تلك المدارس رسل لإنقاذ هذا الإنسان، مع كونها لا تبدو صروحًا شامخة، وليست مزودة بأدوات تعليمية حديثة، أو حتى مقاعد وطاولات للطلبة، كانت كل ما تحوي من أدوات للتعليم تلك السبورة البيضاء أمامها، معلم طريقته تلقين، يفتقر إلى وسائل تعليمية مبتكرة، حتى هو لم يكمل تعليمه إلا القليل ممن لديهم تلك الموهبة التعليمية، ولكن ما لديه بالنسبة لهؤلاء يؤهله لتعليمهم هو العلم كيفما أعطيته، وفي أي بيئة وبأي صورة سوف تجد إنتاجك، وبذلك لن يذهب هباء، فأمامك أناس متعطشون للعلم لا تعبأ بتفاوت أعمارهم، فهم يشتركون في ذات الرغبة، حلمهم العلم وليس شيئًا آخر، بكل إصغاء ينتبهون لشرحك، وبكل أدب يستمعون لأمرك، نعم لكل شيء جانبه المنير، الحرمان الذي عاشوه

جعلهـــم حريصين كل الحرص على ما يكتســـبونه، يقدرون المعلّم، وكذلك المادة العلمية، حتى المعلومة عندهم تشـــعر بأنها ذات قيمة عظيمة يدونونها ويحفظونها كشيء ثمين لا يجب إهداره.

«ما نملكه بنظرنا لا يبدو شـــيئًا ثمينًا، ولكن بنظر المحروم منـــه كنز عظيم، يطمح لإلتقاط ولو لؤلؤة واحدة»

فلا تبخـــل بنشر للآلئك، فأنت تملك كنـــزًا عظيمًا لا تســـتهين به، ساهم ولو بشكل يسير لتصحيح خطأ إملائي أو معلومة أو آية قرآنيـــة أو كلمة، لا تدع مَنْ هو أمامك على خطأ .

معلمة

منذ كنتُ طفلةً كنت أُعلّم، نعم كلما عدت من مدرستي أحاكي معلمتي في جميع تصرفاتها مع طالباتي اللاتي كن آنذاك في مخيلتي، فكنت أُعلِّم وكأني حقًّا كذلك، لقد جسدت الدور وبامتياز من ضمن الأحلام الجميلة التي كنت آمَلُ أن أكوّنها «معلمة»، ولكن في مخيلتي وأحلامي أنا تلك المعلمة المتخرجة بشهادة عليا، أتخلل بين الصفوف بكل بهاء في تلك المدرسة الحكومية، أُعلِّم أجيالاً وأجيالاً، واسمي يقترن مع مادة ما، هي الأحلام، ودومًا ما نرفع سقفها، لا حدود لها ولا خط لا يمكننا تجاوزه، لذلك هي جميلة، ولكن حين ترتطم بجدار الواقع تصبح لا أثر لها ولا حقيقة، من أين تصبحين معلمة وكل شيء يحول دون ذلك، تخليت عن أحلامي المترفة، وعدتُ إلى الواقع، ليس هناك سوى طريق واحد تحقّق فيه حلمَك، تلك المدارس الخيرية الشحيحة، كيف لي أن أُعلّم الكثير من المعوقات اللاتي خشيت منهن، ولكن لنجرب لربما هناك يكمن الخير، ولربما هناك يعظم

الأجر، لم أتـــوان ولم أسمع لهذه الأفواه الســـاخرة، لم أرضخ لأي عائق، عزمتهـــا وتوكلت، وقدمت أوراقـــي وأتى القبول ســـريعًا، فلا طرق معقدة ولا معايير محددة، سوى أن تخضع لاختبار مدته أســـبوع ويأتي القبول، هم بحاجة ماســـة جدًّا، فمن يقبل براتب زهيد، ولكن حين تقدم لهذه الفكرة ستتخلى عن الماديات وتعمل كل شيء لأجل الإنسان، لا لأطماع مادية ولا تحفيزات..

شـــققت طريقي نحو تلك الفصـــول المكتظة بالطالبات، فقد كان الفصل الواحد يحوي قرابة أربعين طالبة، أعمارهم متفاوتـــة بين هذه الصفوف، تنبعـــث الإرادة العزيمة الإصرار على المضي قُدمًا نحو إثبات الذات، في بيئة صعبة جدًّا تفتقر للكثير والكثير، تفتقر تارة إلى مُعلّمات يمتلكن كفاءة عالية، فصول مهيـــأة للتعليم، إلى مواد علمية... فقد كانت تصل بعد شهرين أو شـــهر من بدء العام الدراسي، كل شيء كان يمـــرّ بمراحل صعبة ولا يصل إلا بعد عناء وجهد.

وكونها مدارس خيريـــة لا تمتُّ بصلة إلى وزارت حكومية، مهددة دومًا بإغلاقها، ولكن بفضل الله استمرّتْ، واستمر نهل العلـــم للطلاب والطالبات، عل الرغـــم من الظروف المحيطة والصعبـــة جدًّا جدًّا، ما من شـــيء مذلـــل، عليك أن تغض الطرف عن كل شيء، وأن تحدق فقط في احتياج هذا الإنسان للتعليم، وأنك تســـاهم في بناء المجتمـــع..... فطوبى لمن غرس بيده في طريقه بذورًا حتمًا ســـتورق وتزهر..

نفوس أبيّة

هنـــا أتكلم عـــن تجربتي الـــتي خضتها، اكتســـبت منها واكتشـــفت نفسي من خلالها، لم أكن أعلم بأنني حين أُعلِّم أتَعَلَّمُ أيضًا من المعلمات حولي والطالبات، ومن الطريق الذي أســـلكه للذهاب إلى مدرســـتي المتواضعة في شكلها، الغنية في فحواها، ازدادت مســـئوليتي، هم بحاجة إلـــيّ، ويروننى مثالاً عظيمًا، إذًا علـــيَّ أن أزداد اطلاعًا، أن أوســـع المعلومات لديّ، أبتكر أنتج أكثر، أبحـــث أجتهد أعطي بكل إخلاص، أجاهد وإن فترت عزيمتي وضاقت الســـبل، هذا كله لم يكن موجودًا، لعلـــه كان في ســـبات، وأفاقته تلك النفـــوس التي حولي، قد يكون لديك شـــيء ما تجهله، ولكـــن بحاجة أن يحركه احتياج آخر، لم أكن أعلم أن باستطاعتي إنهاء منهج بأكمله وإتمامه، وأراقب تحســـن في قراءة طالبة كانت في بداية العام مخفقة لتتحسن، لم أكن أعلم أني ملهمة للبعض، كل هذا اكتشفته بفضل هذا الطريق.

أما المعلّمات فكن يلهمنني كثيرًا، يشحذن همتي، لن أنسى تلك المعلمة الدؤوبة المخلصة جدًّا في عملها المتفانية، كانت مبدعة في إبتكار أســـاليب تربوية وأخرى فنية، كن وللأمانة مميـــزات، وكلهن نجوم لمعن في سمائي، لـــن أتحدث هنا إلا عن كل أمر إيجابي، وكل شـــيء جعلني مختلفًا، حتى الأذى الذي اعترى طريقي كان يساهم في نضجي بشكل لما ألاحظه مؤخرًا في أحيان كثيرة راودتني فكرة الإنسحاب، ولكن كانت عاطفتي هي من تقودني، لقد تعلّقت بشكل كبير بهنَّ، أسرتني ضحكاتهن، مَنْ يرى يا سادة ابتسامة طفل يتعرض من صغره للتهميش والإقصاء تهون عليه كل المتاعب، بل ويستصغرها، مَنْ يرى أمًّا كادحة لتوفر مالاً تعلّم به ابنتها، وتتصبب عرقًا من أجلها ليس عليه ســـوى أن يبذل كل ما في وســـعه ليعلم ابنتها، فهـــي تتركها في حضننا وتذهب لتأمين معيشـــتها، فيجب أن يكون حضنًا آمنًا دافئًا يحنو عليها..

«حين أرى ابتسامتهن أشعر أن لا همَّ لديّ أبدًا

أو بصيغة أخرى: «لا قيمة لهمومي أبدًا أمام همومهن».

وأخيرًا: «لكل أولئك العابسين ما حجتكم؟»

كلمة حق

أنيقون أولئك الذين يغذون السير منذ البكور باحثين في ثنايا الأرض عن لقمتهم، وعن سد حاجاتهم، يثيرون إعجابي كثيرًا، لا يعانقون مضاجعهم طويلاً، أوقاتهم لا تذهب هباء، فالوقت قيمته عظيمة في أعينهم.

للأم التي ترملت وحملت وحدها المسؤولية

أو لتلك التي تركها زوجها دون أدنى اهتمام.

للطفلة التي تيتمت وفقدت السند وكبرت وجاهدت وحدها دون أن يشعر بها أحد، عملت وكبرت وكافحت على نفسها.

لكل امرأة شعرت أنها غير قابلة للانهزام، قادرة على ترميم طرقاتها المتصدعة.

أنتم صناع النجاح.

«الناجحون في هذه الدنيا هم من سيقومون في الصباح يبحثون عن ظروف مواتية وإن لم يجدوها صنعوها» برنارد شو.

مختلف

نعم وحدك أنت لا تتوقع أبدًا مِنْ أحد أن يتقاسم معك همك، نادرون جدًّا من يشاطروننا الحياة ويشدون أزرنا حين نوشك بالسقوط، الكثير يقول: دعه لا أحد قال له بأن يقدم على هذا العمل، وآخر لن ينبس بكلمة واحدة، يكتفي بالنظرة إليك والبعض يتخذك مادة للسخرية.

حين يكون كل من حولك لا يشبهك في تفكيرك وميولك تجد أنك غريب، وقد تشعر بعض الأوقات أنهم فعلاً صادقون، فأنت قد سبقت عمرك في حين هم يعشيون تفاصيل مراحل حياتهم بحذافيرها، وأنت مقيد بأفكارك التي تؤمن بها لا تستطيع أن تحيد عنها أبدًا.

حتى لو جربت أن تتقمص أدوارهم وتقلدهم تعود سريعًا مستنكرًا، ما من لغة مشتركة بينك وبين أقارنك، لقد أرهقك البحث طويلاً في فناء المدرسة المكتظ بالطالبات، لا شيء مشترك، ولستن على مستوى واحد من التفكير، وان فعلت وأقمت علاقة ستتهرب كثيرًا كثيرًا.

أو هم سينسحبون من حياتك، لســـت متكافئًا معهم، في مجتمعنا أغلب العلاقـــات تقام ضمن معايير محددة، أحدهم لن يقبلك صديقًا له لشـــكلك، وآخر لقلة ما تملك، ونادرًا ما تجد الشـــخص الذي يتخذك صديقًا لأنك ذو خلق.

لو سألنا الناس على أي أســـاس تقيم علاقتك؟ فالكثير يقـــول لا يهمني شـــكل أحدهم أو لونه أو مـــا يملك، كلام مثالـــي، والعكس هو الواقع.

ثلة

كل بيئة تختلف عن الأخرى، فالبيئة في المدرسة تختلف عن حلقات القرآن الكريم «تحفيظ القرآن الكريم» هناك ستلمس فرقًا كبيرًا، وتبدأ في المقارنة بين هؤلاء الناس وغيرهم، لا شيء متشابه، هنا نضج وحب وسلام مبني على أسس قويمة خالية من المصالح، كلمات طيبة وتآخٍ لا مثيل له فعلاً «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

وبعد عناء وبحث، أخيرًا وَجَدَتْ نفسي ما أميل له، ما يشبهني وإن كان هناك فارق بيني وبينهم، ولكن نشترك في نقاط كثيرة..

أما طالباتي وتلك البيئة التي جعلتني أبدو مختلفة اليوم في اهتماماتي، زاهدة في متطلباتي، لقد فهمت مغزى حياتي من خلال العطاء، آمنت جدًّا أن حياتنا إذا لم نقدم فيها شيئًا لن ننال منها شيئًا بمعنى إذا قمت بجهد القراءة تحصلت على وعي بشكل أكبر، إذا قمت بعمل ما يستحيل أن تخرج منه دون أن يكسبك أمورًا جديدة، نحن نكتشف أنفسنا

باكتشاف العالم، حين نعاشـــر الناس نعرفهم جيدًا، ونعرف أنفسنا من خلالهم نكتسب ونكسب.

تقول لي إحدى صديقاتي: لقـــد تعلمت أن أصبر في فناء المدرسة أمام ســـخرية الطالبات، واكتشـــفت أني قوية جدًّا وعقلي أكبر منهن.

وتقول أخرى: اكتشـــفت أن أمام المرأة التي تهتم بالمظاهر أنـــي متواضعة جدًّا، كالذي يـــرى العليل وهو في أتم صحة، ليس عليه سوى أن يشكر الله ويتمتم بينه وبين نفسه: «الحمد لله الذي عافانا».

ولا شك أن يحدث العكس، عندما نرى مَنْ هم أفضل منا نتمنى أن نكـــون مثلهم، نجاهد حتى نصبح كأخلاقهم، وما أندر الإنسان الخلوق.

ربيع القلوب

لم تكن حلقـــات التحفيظ قرآنًا يتلى أو نتقن تجويده، بل كان ذاك الـــذي يجملنا ويهذبنا ويعطينا القوة، عندما تقرأ كتابًا لأحد الكتاب، فإنه يؤثر فيك حتمًا، أو مقولة، كيف بكتاب الله الذي يعرفك جيـــدا، ويعطيك الحلول لتتجاوز كل شيء!!

فقط عليك أن تقرأه بتدبر حتى تتعقل وتتزن وتفهم، ما عليك وما أنت لأجله في هذه الحياة، وتفهم أيضًا طبيعة مَنْ حولك، وتنتهج النهج الصحيح في ســـلوكك معهم، كثير من الآيات لم نفهمها إلا حينما تدبرنا معانيها، أو قُرأت بشكل مرتل ومتأنٍّ، أعط الوقت الكافي وإقرأ إقرأ إقرأ حتى تســـتنتج مع الأيـــام أنك بدأت تتغير، ويؤثر فيـــك القرآن، هنا فعلاً تدرك أنك انتصرت، وبدأت تســـلك الطريق الصحيح، رغم قصورك سِـــرْ في هذا الطريق، لا تتخلف وإن أصابك الفتور، غَـــدٍّ عزيمتك منه، فهو المنهل المتدفق دون توقف، إرتوِ كلما أحسست بالظمأ، إغتســـل كلما اعترى ثوبُك الدنسَ، ثبِّتْ

به قلبك، وآسِ به نفسَـــك، إلجأ إليه فأنت بحاجة ماسة له.

خلاصة..

نحن نســـير في كل الاتجاهـــات ونتخبط، تبـــدو حياتنا فوضـــى، ولكن تلك هـــي الطرق المؤدية للاســـتقرار،

ســـيؤمن بك الجميـــع طالما كان لديك إصـــرار وحلم تبذل قصارى جهدك لتثبت لنفســـك أنك قادر، وأن آراء من حولك تبقى آراء لا يستطيعون سوى الإدلاء بها، تبدو مزعجة كثيرًا ومؤثرة لا شـــك، تذكر أن القيمة التي يعطوننا هي الأشـــخاص تنبع من أشـــياء كثيرة، ربما من غيرة أو خوف أن تســـبقه لشيء أو حســـد، والأغلب لا يؤمنون بقدراتنا لأن نظرتهـــم للحياة وللآخر ينفيها تشـــاؤم البعض، يتراخى بل وتنعـــدم رغبته في مواصلة أحلامه، والبعض قد تؤثر به ولكن لا تعيق من حركته، إيمانك بنفســـك لا تســـمح لأحد أن يشـــكك فيه أبدًا، يقال: «سيموت نصف إبداعك إن فكّرت في

رأيِ الآخرين، تذكر أن لكَ زاوية أخرى لا ينظُرُ للأشـــــياءِ منها سواك..».

انظر لنفسك بأنك قادر وغير عاجز، لا تقل الظروف ولا تدعها شماعة تلقي عليها كسـلك، لا يهم أن يعترف بك أحد أو بما تقدمه..نجاحك سيكفل بذلك.

في تلك المدارس بدأ يفرض الإنســان المنفي نفســه على المجتمع بنجاحه وثباته وإبداعه، لقد أصر على التعليم وآمن به الجميع، وها هو اليوم مندمج في المدارس التي كان يعدها حلمًا مســتحيلاً، فقط اعمل، فالتوفيق بيد الله وحده.

أما المعلمين الذين عاشــوا معاناة تلكم الطلاب استبعدوا يكفي أنهم عالقون في أذهان طلابهم وطالباتهم، أعطوا بقليل ما عندهــا ليجنوا الكثير، لقد أخــذوا بأيدهم نحو إعادتهم للمجتمع، مــا أطهر تلك الأيدي «أثابكم الله».

العالم الافتراضي

في يـــوم من الأيام قـــررت أن تغادر وحدتها، أن تســـلو مع هذا العـــالم، تجلي بذلك روتين يومها، قـــراءة اطلاع برامج تلفزيونية.

تتنافس مـــع هذا العـــالم المنهمك في وســـائل التواصل الاجتماعي، تملأ فضولها وتزداد تعرفًا ودراية بالشـــيء الذي تحبـــه، وأن توصل صوتها بحروفها الـــتي لم تكن بعد حروف تكســـوها التجـــار ببعد لم تتعمق، كل الـــذي تفعله كتابة خاطرة مملوءة بأخطاء إملائيـــة، ركيكة في معانيها، ولكنها توصل الفكرة، وتجد المادحين من حولها، يشـــجعونها بكلمات جميلة، ومدح يفـــوق الوصف، ويفوق آنـــذاك تفكيرها بعد، لم تســـتطع فهم المغـــزى، فقط تعجبها تلـــك الحروف التي تشبه أنغامًا ســـحرية يتلذذ بها السامع دون أن يعرف كيف عزفت.....

أتاح هذا العالم المجال لـــكل الفئات دون قيد، فضجّ العالم من حولنا مأسورين أمام هواتفهم الصغيرة، متعلقين بها أشد

تعلـــق، لم أكن حريصة لإقحام نفســـي في هذا العالم، ولكن الواقع فرض علينا أن نتقبل أمورًا كنا نجزم برفضها، ها هي اليوم تكتسح عالمنا، بل هي جزء لا يتجزأ من يومنا، إذ لم تكن تحوز على جل أوقاتنا «وهذا ما نأســف عليه» بلا شــك أنها فضاء واسع كثير الإتجاهات، مختلف متعدد، ستلتقي بالثائر الذي يحمل رصاصه، والعاشـــق المتيم الذي تفيض مشاعره، وبـــكل أولئك الباحثين عن عالم غير واقعهم، ليجيدوا الأدوار بإتقان، ولاشـــك أنه عالم يعج بالمثالية خلـــف هذه النوافذ، عشـــنا قصص حب وبطولات وخيبات، عقدنا آمالاً وأحلامًا، امتلكتنا وقيدتنا، حاولنا جاهدين لفكِّ القيود، ولكن عجزنا، محاولاتنا باءت بالفشـــل؛ لأن تعلقنا بأمور كثيرة لا نجدها إلا من خلالها، ليســـت متوفرة إلا في هذا العالم.

إن هذه المواقع ســـاهمت في تغير واقعنا اليوم، وشـــكّلت لنا فكـــرًا جديدًا، غيّرتنا كثيرًا، لم يحدث أن غيرت الســـينما أو التليفزيون كما غيّرت هذه المواقع الناسَ، ربما لأنها بمتناول

الجميع، واخترقت وغزت كل بيـــت فقير غني، صغير كبير، أحدثـــت ثورة كبـــيرة، الجميع يتحدث يكتب، يد الســـلطة مبتورة؛ لذلك تنفّس الشعب، ولكن يبقى السؤال: هل تقودنا للإصـــلاح أم أنه طريق ممهد لهلاكنا؟!

هل هذه الحرية التي نمتلكها أسأنا استخدامها والتصرف فيها، ألهتنا ونحســـب أننا أحســـنا الصنع، على أية حال هي المنبر الذي اعتلى فوقه الجميـــع، وان اختلفت غاياتهم، لقد توصلـــوا إليها من خلال هذا الطريق..

المثالية الإفتراضية

الجميع يتكلم هنا عن الفضائل، ينزّه نفسه، أراؤه التي يدلي بها لا تمثله، لا يشـــبه الواقع، ويملك الكثير من الحسابات، ويتشكل مع كل حساب، خلقت ازدواجية لدى البعض.

طرفات

الحب الافتراضي

لم نشرع نوافذنا الافتراضية كي نبني علاقات، لم يكن هذا الهدف، ولم نقبل صداقاتهم على هذا الأســـاس، ربما إعجاب بفكرة أو طرح أو نقـــاش طريق، ما جعلنا نقبلهم كأصدقاء ضمن قائمـــة الصداقـــات لدينا، ومـــن هنا بـــدأ الاهتمام بالأطروحات والإعجاب بالفكر الذي يحمله صاحب هذه الآراء، والكثير ممن يحمل علمًا أضاء به جهل أحدهم، أبصره طريقا آخـــر، وأسمى العلاقات تلك التي كان بداية تعارفها ثقافيًا، مضمون جوهر لا شـــكل أو مادة أو مركز، وهي أكثرها بقاءً وعمرًا وأدومها، ومن هنا بدأ التعلق وكما يقال: «الإعجاب». توأم الحب: أحلام مستغانمي.

شخص يأســـرنا من بين كل هؤلاء لطيبته ولرُقِيّه، يبدأ الترقب، ومن ثَمَّ الانتظار، وتطول طقوس العاشقين العاكفين على هذه النوافذ.

ولأننـــا لن نلتقي على أرض الواقع إلا أن يشـــاء الله، ولأن بيننا هـــذه الحدود والفروقات التي بناهـــا مجتمعنا، والتي لا يمكن الحيـــاد عنها أقول لك.

«لطالمـــا حلمت بك ورسمت في مخيلـــتي أننا معًا، لا أريد لهذا الخيال أن يقف عند حدٍّ، لقد عشت تفاصيل الحياة التي أردت قضاءها معك، فرح وحزن، أســـى وحبـــور، أما أنت روح غمرت فؤادي أملاً، وســـقت أيامي فرحًا.

كان قرارنا الأخير بالبعد مؤلمًا للغاية، ولكن أردنا أن تبقى هذه المشـــاعر مخبئة، إذ أن لا طريق لها، ومن الظلم على حد قولك أن نســـير في طريق لا يؤدي لتحقيقهـــا، لقد توقفنا عن الاهتمام، وبدأ على اســـتحياء سؤال لك وسؤلك علي، كيف لهذه الجســـور التي لم تكن بيننـــا أقاموها بيننا لنعود غريبين كما كنا، لتذهب الألفة والبساطة، ويعود كل شيء أدراجه سوى ما أشعر به حيالك، ولأننا نرضخ لقوانين جائرة فرضتها هذه الأعراف، ولأن الوداع أمر محتوم، لن أنسى كل

ما قدمته لي يومًا، ســـأحتفظ بكل مـــا هو جميل، وأخبئك أعماقي وإن ناءت الأميال فأنت الأقرب».

أسوأ شعور هو ذاك الفقد الذي يأتي بعد التعلق!!

بدت طقـــوس الغياب والبوح بما يختلج الفؤاد من أســـى على الفـــراق، أكتب كل يوم حروف تئن تتوجع عن الوحدة والفقد، أتســـلل إلى صفحته كل يوم لأرى هل يشعر مثلي؟

هل نعيش نفس المعاناة؟

ما الجديد؟!

وأخيرًا نحدث أنفســـنا ما الجدوى من إنتظار لا يتمخض عنه شـــيء، أعيدت كل تلك الحواجز، وكأن شـــيئًا لم يكن ســـوى أنه ثقب في القلب، يتســـع إن بقينا نحن، ونئن علينا أن نواســـي أنفسنا، الأيام قادرة على محو كل تلك الأحزان، ســـنحيا ربيعًا كأننا لم نذق الماء.

لا نجعل للأحزان حيزًا كبيرًا في حياتنا، سنحاول أن نفهم أننا أقوى من فراق وخيبة، وليست مغزى الحياة أن نقف على الأطلال نتباكى، ونسرف على ماض قد انصرم، ولن تعيدها صيحاتنا أو كتاباتنا لنتعلم ألا نتعلق سوى بالله وحده..

أعظم ما قد نقدمه لأنفسنا أن نرتقي بها، وأن نبحث عن الطرق المؤدية لذلك، ما أسوأ أن يبقى الإنسان على ما هو عليه، لا يرضى بالتغير والتجديد، ولا يسعى في البحث والجهد لأن يصبح إنسانًا مختلفًا بفكره ووعيه، كما تجتهد في تحسين صورتك الخارجية وتجميلها، اعمل ذلك لفكرك فكما يقال: «فأنت بالعقل لا بالجسم إنسان».

إنتق أصدقاءك، لا تجعل المظاهر هي من تحدد صداقاتك.

إقرأ الكتب، إجعل رفقتك تلك العقول الفذة، المجال متاح لأن تجالس عمالقة الفكر.